باب الضاد

الضبع:

حيوان معروف، يطلق على الذكر والأنثى، ومن أسمائها حسل وجعار، وحفصة [1]. وكنيته: أم خَنّور وطريف، وعامر، ونوفل وربما قيل للذكر أبو كلدة، وأبو الهنبر. ومن العجب أنه كالأرنب سنة ذكر وأخرى أنثى، فتلقح حال الذكورة، وتلد حال الأنوثة ذكره فى ربيع الأبرار[2] وغيره عن الجاحظ[3]. وابن الصلاح فى رحلته عن أرسطو. وفى العرب قوم يقال لهم الضبعيون، لو جلس أحدهم فى ألف، وجاء ضبع، لا يقصد أحداً سواه. ويوصف بالعرج وليس بأعرج، بل تخيّل للناظر، وسببه لدونة فى مفاصله وكثرة رطوبة جانبه الأيسر. وهو مولع بنبش القبور، لكثرة شهوته للحم الآدمى، وإن رأى آدميًّا ناثما،

---

(١) انظر هذه الأسماء وغيرها فى النويرى ٩/ ٢٧٤، اللسان (ضبع).

(٢) للزمخشرى.

(٣) الحيوان ٦/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢ و ٧/ ١٦٨، والدميرى ٢/ ٨١ ـ ٨٤، وابن حجة، ٧٨ب و ٧٩ أوب، ٨٠أ.

حفر تحت رأسه، وأخذ بحلقه، فيقتله ويشرب دمه. وهو فاسق، لا يمر به حيوان من غير جنسه إلا علاه. ويضرب به المثل فى السفاد، فإنه إذا وقع فى غنم عاث فيها، ولا يكتفى بما يشبعه. ومن إسرافه فى السفاد استعاروا اسمه فى السنة المجدبة، فقالوا: أكلتهم الضبع، قال أبو خراش[1]:

أبا خُراشةَ أمّا أنت ذا نَفَرٍ فإنّ قَوْمِىَ لم تأكُلهمُ الضَّبُعُ

وإذا اجتمع ذئب وضبع بمحل الغنم، سلمت، فكل منهما يمنع صاحبه عنها. وتقول العرب فى دعائها: اللهم ضبعا وذئبا[2] أى اجمعهما فى الغنم لتسلم.

وسئل الأصمعى عن قول الشاعر[3]:

تَفَرَّقَتْ غَنَمى يوما فقلْتُ لها يا رَبِّ سَلِّط عليها الذِّئْبَ والضَّبُعَا

أهو دعاء عليها، أم لها؟ فقال: بل لها.

وإذا وطئ ضبع ظل كلب فى القمر وهو على السطح، وقع الكلب، فأكله. ويوصف بالحمق، لأن الصياد يقول على باب وكره كلاما، فيصيده به. والجاحظ يرى أنه من خرافات العرب. وهو كثير الغدر، وعدم حفظ المعروف، ولذا قيل: (من الطويل).

---

(١) نسب اللسان (ضبع) البيت إلى عباس بن مرداس.

(٢) النويرى المرجع السابق، ٩/ ٢٧٥.

(٣) ذكر اللسان (ضب) البيت دون نسبة، وأفاض فى شرح اللهم ضبعا وذئبا.

ومن يصنع المعروف فى غير أهله يلاقى كما لاقى مجير أم عامر

والأنثى تلد من الذئب جروا يسمى العِسْبارَ، وقال الشاعر: (من الرجز) [1].

يا لَيْتَ لى نعْلَيْن من جِلْدِ الضَّبُع وشَرَكاً من شعْرها لا ينقطع

كل الحذاءِ يَحتذى الحافى الوَقِع

وقال الموسوى: (من الرمل).

ضبع البر لمن يخرجها من وجار بمحال وخِدع

كشجاع باذل فى حرج سألوه فى رضاه فخدع

وأنشد جحظة يرثى ابن حمدون: (من الطويل).

أيعذب من بعد ابن حمدون لقد كدرت بعد الصفاء المشارب

أصبنا به واستأسد الضبع بعده ودبت إلينا من أناس عقارب

وكتب الصلاح الصفدى إلى البدر الغزى ملغزا فيه: (من الخفيف).

أيها الفاضل الذى من يحاربه تقوّى فيما ادعى وتقول

---

(١) الرجز من أقوال أبى المقدام جساس بن قطيب وكان فى سفر ممارا. والرجز فى نثر الدر ٦/ ٢٥٧، الحيوان ٦/ ٤٤٦، الدميرى (ضبع)، الميدانى ٢/ ٥٥، اللسان (لعا، وقع).

ولعل البيت الرابع: دَاوِيَّةٌ شَتَتْ عى اللاعى السَّلِعْ (اللسان لعا) وفى فصل المقال ٣١٨: داوِيَّةٌ شَقَّتْ على اللاعى الشَكِع.

والـذى مـن أراد يبـصر قـسّا فعلـيه دون الـبرية عـوّل
هـات قـلْ لِـى بـالله مـا حـيوان ثابـت الخلـق قـط لا يـتحول
عيـنه إن قلعـتها يتـبدى حـيوانا غـير الـذى كـان أول

فأجابه[1] :

يـا إمامـا طـال الـورى بمعـان فى المعانى تفوق من قد تطول
وإذا اعتـضد الـسؤال فمـا زال عليه فى المعضلات المعوّل

وحكمه: الحل عند الشافعى وابن حنبل وأبى إسحق وأصحاب الحديث، لأنه لا يبتدئ بالاعتداء. وقال أبو حنيفة: يحرم. وكرهه مالك.

وفى المثل: أحمق من ضبع[2]. وما يخفى هذا على الضبع[3]، يضرب للشىء تتناقله الناس. وقالوا: الضبع يأكل العظام، ولا يدرى ما قذارتها[4]، يضرب لمن يسرف ويشط على غير قدر. ويقال للضبع وهى فى جارها: خامرى أم عامر[5]، أبشرى بجراد عظال[6]، فتنقبض.

---

(١) وجاء فى "غ":

أن زهرا أهـديته غـض عنه طرفه واستحال زهر المحول
حين ألغزت فى معمى هـذانى نحـو الفكر حين سوى وسول
حيـوانٍ إن صيروا رأسه العيـ ـن رأوه إلى الجماد تـحول

(٢) نثر الدر ٦/ ١٨٨، الميدانى ١/ ٢٢٥، رسائل الجاحظ ١/ ٢٠.
(٣) الميدانى ٢/ ٢٩٥، اللسان (ضبع).
(٤) الميدانى ١/ ٤٢١، نثر الدر ٦/ ١٩٠.
(٥) الميدانى ١/ ٢٣٨؛ نثر الدر ٦/ ١٩٠؛ اللسان (خر ـ عمر).
(٦) الجراد العظال: الذى ركب بعضها بعضا لكثرتها.

وهى إذا وجدت قتيلا قد انتفخ، ألقته على قفاه، ثم ركبته. وقالوا: اعرض عليه خَصْلَتَىْ الضَّبُع[1]، إذا خيَّره بين خصلتين، ليس فى واحد منهما خيار.

وحدثت العرب أن الضبع صادت ثعلبا، فقال لها: منّى علىّ أم عامر! قالت: أخيرك خصلتين، فاختر أيهما شئت! فقال: وما هما؟ فقالت: إما أن آكلك أو أوكلك! فقال لها: أما تذكرين يوم نكحتك؟ قالت: متى؟ وانفتح فوها، فأفلت الثعلب.

وقالوا إنما أنت خلاف الضبع الراكب، لأن الضبع إذا رأت راكبا خالفته، وأخذت ناحية. وأحاديث الضبع أستها[2]، تضرب لمن يحدث بحديث فيخلط فيه. وقال اللحيانى: قالت العرب إن الذئب قال للضبع:

يـــا ضَـــبعا قلـــدتها أرباقـــا
فـــسمعت فـــى جـــبل نهاقـــا
فأقـــبلت تـــسلخها حـــرياقا

قالت الضبع:

هـيا ذؤيـب حـين أوفـى أبـرقا
رأى ســـواء غـــنم فـــبرقا

---

(١) تكملة المثل... الضبع الراكب. نثر الدر ٦/ ١٩٠.
(٢) الميدانى ١/ ٢٠١، نثر الدر ٦/ ١٩٠.

تضرب خصياه أسته لتلحقا

وخواصه: من أمسك جلده لم يخف الكلاب، ومن أمسك بيده حنظلة أو أصلا من أصول العنصل، هرب منه الضبع. وإن بخر طفل عنيل بشعر من قفاه، برأ. وإن شربت امرأة ذكره مسحوقا وهى لا تعلم، ذهبت عنها شهوة الجماع، وكذا إن شربت دانقا من مرارته. ومن علق عليه قطعة من فرج ضبع، أحبه الناس. وإن جعل من جلده مكيالا، وكيل به البذر، أمن الزرع من الآفة، وإن كيل شيء به سلم من الآفات. وأكل دمه يذهب الوسواس. والاكتحال به ينفع من الشعرة. ومن طلى بدنه بشحمه لم تضره الكلاب. وإن اكتحل بمرارته نفع من ضعف البصر والماء. وإن نقعت عينه اليمنى فى خل أسبوعا، ثم جعلت فى فصّ خاتم وليس، لم يضره سحر. وإن وضع الخاتم فى ماء، وسقى للمسحور، نفعه، مربوطا كان أولا. وإن جعل رأسه فى برج حمام كثر. وإن ربطت أسنانه على عضد، نفع من النسيان، ووجع الأسنان. والاكتحال بدمه ينفع من الشعرة بعد نتفها. وإن سف من ذكره دانقان بعد تجفيفه وسحقه أنعظ. وإن حرق شعر ذكر من فخذه الأيمن، وخلط بزيت، نفع من البله والدموع دهنا، وإن كان من الأنثى أحدثها. وذكر الصلاح الصفدى فى الوافى[1] أنه وجد فى كتاب خواص الحيوان أن من تحمل بشعر الضبع، حدث لها البغاء، فكتب

---

(١) الوافى الوفيات، ٣/ ١٥٠ ـ ١٥٣.

محيى الدين البغدادى على هامشه: أخبرنى الثقة ابن الوحيد[1] أنه جرّبه فصح.

الضفدع[2]:

كالخنصر، أنواع كثيرة، ويكون من سفاد وغيره. فالأول يبيض فى البر، ويعيش فى الماء[3]. والثانى يتولد فى المياه القائمة الضعيفة الجرى، ومن العفونة وغب المطر الغزير حتى يظن أنه يقع من السحاب لكثرته على الأسطحة عقب المطر والريح، وليس عن ذكر وأنثى، بل يخلق فى تلك الساعة من طبع تلك التربة. ولا عظم له. ويوصف بحدة السمع. وإذا أراد أن ينق، أدخل فكه فى الماء، الفك الأسفل، فإن دخل الماء فيه، لم ينق[4]. وما أظرف قول بعضهم فى قلة كلامه: (من مجزوء الرمل).

قالت الضفدع قولا ... سرّته الحكماء

فى فمى ماء وهل ينـ ... ـطق من فى فيه ماء؟

ويعرض له حيرة عند رؤية النار، ولا يزال يدمن النظر إليها. وأول نشوئها فى الماء أن تظهر كحب الدهن الأسود، ثم تخرج، فتنبت لها

---

(١) محمد بن شريف بن يوسف، المعروف بابن الوحيد، أديب وناظم وكاتب وخطاط، انظر ترجمته فى الوافى ٣/ ١٥٠ ـ ١٥٣، والزركلى: الأعلام ٧/ ٢٨، ٢٩، وكحاله، معجم المؤلفين، ١٠/ ٦٨.

(٢) من البرمائيات.

(٣) الجاحظ، ٤/ ١٤٤ و ٥/ ٥٢٥ ـ ٥٣٠.

(٤) الدميرى ٢/ ٨٥، وابن حجة ٨٠ أو ب.

الأعضاء، والثعبان يستدل بصياحه، فيأتيه، فيأكله. قال الأخطل[1]: (من الطويل).

ضفادعُ في ظلماءِ ليل تجاوبَتْ فدلّ عليها صوتُها حَيَّةَ البحرِ

قال القزويني: وقفت ضفادع بالبركة بالموصل، فتأذوا منها فقال رجل: اجعلوا طستا على وجه الماء مقلوبا. ففعلوا، فلم يسمع لها نقيق بعد ذلك. قال في التبيان: اسم الحوت على الضفادع. قال الصّلتان: (من الطويل).

فإن يكُ بحرُ الحنظليينَ واحدا فما تستوى حيتانُه والضفادعُ[2]

قال ابن سينا: إذا كثرت الضفادع في عام فوق العادة، وقع الوباء. وحكمه: الحرمة عند الشافعي وأحمد، والحل عند مالك.

---

(١) ديوان الأخطل ٦٣٣ ط. دار الثقافة. بيروت ١٩٧٩.

(٢) وفي فصل المقال ٤١٦: لئن كان بحر.....

والبيت في الشعر والشعراء ٣١٤، وطبقات ابن سلام ٣٤٣، المؤتلف والمختلف ١٤٥، معجم الشعراء للمرزباني ٢٢٩.